

من أجل بناء مجتمع إيجابي متكامل



«لا... بل سنعمل جميعاً»: إنَّ في المجتمع ثغرات كثيرة، فلننظر إلى حال المجتمع من حولنا، أليس المجتمع أنا وأنت؟ هو وهي... ابني وابنتك... جاري وجارك؟ ألسنا نحن النواة التي يتكوَّن منها المجتمع؟؟! بلى وإنا كذلك، إذاً أليست هذه الفوضى، والغوفاء التي نعيشها في مجتمعنا من صنع أيدينا؟ ولكن هل نشعر نحن بذلك؟ طبعاً الكثير يسأل نفسه: وما شأني بالمجتمع؟ أأُصلح ما في المجتمع كله؟ لا، لن تعمل وحدك... ولن أعمل وحدي... بل سنعمل جميعاً من أجل بناء مجتمع متكامل... مجتمع متعاون... مجتمع متراحم فيما بينه... فدعونا ننظر كيف يكون ذلك؟ إنَّ الأُمم يُبنى على أنقاضها أحلامٌ وطموحات لا تتحقق إلاَّ مع مرور الزمن، قد يبدو للبعض أنَّه من الصعب تحقيقها، وللبعض الآخر قد تبدو هدفاً سامياً لا بدَّ من تحقيقه والوصول إليه بكل الوسائل الممكنة. انظر إلى الدنيا من حولنا.. غش، كذب، سرقات، نفايات على قارعة الطريق، خيانات، وليس هذا بغريب! بل الأغرب أنك تسمع كل فردٍ يبرِّء نفسه من جميع هذه التَّهم فتراه يقول: وهل سيتغير المجتمع إن غيَّرت أنا ما بنفسِي؟ فيهزأ ويسخر، ويرى كلَّ شيءٍ مهما عظُم وكبر سخيفاً، ليس له شيء من الأهمية... أما مظهره فتراه أنيقاً للغاية.. منزله من أجمل ما يكون... في عمله هو أحسن بنظره من جميع الموظفين... أما داخله!! النفايات أمام الشارع الذي يقطن فيه... الغش في المعاملات الرسمية... في عمله... السرقات التي تحصل من حوله... الكلام البذيء الذي يتفوَّه به أولاده... كل هذا ليس مهماً بنظره، فالمهم عنده أن يكون ذا مظهر أنيق أمام الناس،

وسيارته نظيفة ملمّعة... إذاً ماذا يهم بعد ذلك؟! لا شيء أبداً!!! من المحزن أن نرى هذا جميعه سهلاً... وكان من الممكن أن نتقبله لو كان حال شريحة صغيرة جداً من المجتمع فنقول: من السهل إصلاحها وردعها... ولكن كيف بنا وهذا حال معظم المجتمعات التي نعيش فيها؟! فما هو الحل؟! وكيف نغيّر هذا الحال، أو هذا المصاب الذي حلّ بنا؟ موقفى يغير الكون؟! لماذا هذه السلبية؟ إنّ للإيجابية قواعد وأحكاماً يجب تطبيقها.. فلا تظن أيها القارئ أنّ الإيجابية تكمن في التهور، أن نكون شجعان بلا حدود دون أي قواعد تحكمنا... لا... بل الإيجابية أن نغيّر بالحكمة، بالعقل المتزن... نغيّر السوء إلى حسن، والحسن إلى أحسن... فقد قال الله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالرَّحْمَةِ... وانظر إلى تكملة الآية: (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ رَبِّكَ هُوَ أَهْلٌ بِمَنْ هُوَ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَهْلٌ بِمَا هُوَ تَدْرِينِ) (النحل/ 125)، إنّ الطريقة التي ندعو بها إلى الإصلاح من أهم ما يجب الاهتمام به. نحن نريد أن نتغيّر، نريد أن نكون إيجابيين؛ لأنّ المصائب حلّت بنا في كل مكان... فإذا لم يكن أفراد المجتمع متكاتفين يداً واحدة، وإذا لم تكن مساعداً أنت بالحفاظ على أولادك فكيف ستعتمد إلى حدّهم على النظام؟ لذلك نحن نفرض هذا التبرير للسلبية: "موقفى لن يغيّر الكون"... بل سيجيّر الكون بأسره... فثق بأنّ التغيير آتٍ على أيدي كثيرين من الناس وخاصةً الشباب الذي بات يرسم طريقاً نظيفاً طاهراً مع الله ليصل إلى قمة ما نسمّيه بالعفاف... فالغنى بالله هو الطريق الأمثل للوصول إلى الإيجابية فلا تتأخروا... اسعوا لتغيير ما بأنفسكم حتى يغيّر الله ما نزل بكم من كربٍ وهمٍّ وحزن... نعم... من موقفك وحدك ستأتي إيجابية الأمّة، وستحيا عزيزةً مستقلةً عن الأهواء. لقد قال عزّ من قائل في سورة الأنفال: (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الأنفال/ 25)، فمن؟ للظالمين أنفسهم باتباع الشهوات والفتن، أحبتي... أما آنا لنا أن نغير ما بداخلنا؟ أنا لا أدري ما المانع؟ أو ليس كل فرد منا يبحث عن السعادة؟ أجل.. فإذا كان هذا الدين يضمن لنا سعادة الدنيا والآخرة فماذا تنتظر؟! إني والله لأسمع قلوباً تخفق وبشدة، تريد أن تتغير لكنها بحاجة إلى مساند.. تريد من يأخذ بيدها ليضعها على عتبة الصلاح... فتعالوا نساعد بعضنا البعض في تحقيق هذه المهمة... لعل السلام يعم، وينسينا ما حلّ بنا من حروبٍ ودمارٍ وآفات أصبحت من أسس حياتنا اليومية. أجر العامل منهم كأجر خمسين... أتى رسول الله (ص) مقبرة مع أصحابه فقال: "السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا"، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: "بل أنتم أصحابي،

وإخواننا الذين لم يأتوا بعد" [رواه مسلم: الحديث: 583]، وفي رواية: قال رسول الله: "فإن من ورائكم أيام الصبر، الصابر فيه مثل القابض على الجمر، للعامل في ذلك الزمان أجر خمسين رجلاً" قيل يا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منا أم منهم، قال: "بل أجر خمسين رجلاً منكم". [الطبراني في "المعجم الكبير" 22 / 220]. ... ما أروع هذا الكلام وما أعذبه... أجر خمسين من الصحابة؟!... أجل أجر خمسين، فهل نكون منهم؟ أم ما زلت تقول: "التغيير ليس مسؤوليتي وحدي؟" دعونا لا نتكبر... دعونا ننظر إلى واقعنا بعين الجرأة والواقع حتى نستفيق ونلتفت إلى أمر الأُمّة وما تهيم به من ضياعٍ وهوان. نعم... نهلك إذا علا فُجْرَها على أبرارها... في رواية: أنّ الله سبحانه وتعالى أمَرَ سيدنا جبريل (ع) أن يخسف بقرية... فقال: يا رب... إن فيها عبدك فلاناً لا يزال قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً... فقال: "يا جبريل، به فابدأ"، قال: لمَ يا رب؟ قال: "لأنّه لم يتمعّر وجهه يوماً من أجلي" أي: لم يحمرّ انفعالاً لي، لماذا يا ترى؟ أن الفتنة إذا حلت لا تحل بخاصة بل بعامة... لذا فهلك جميعاً إذا حلت بنا الفتن ولم نعلم نعمد إلى التغيير. لكي تكون إيجابياً يجب أن تسعى لتجعل الوحدة شعار الأُمّة الإسلامية وليس التفرّد. لا أن ندخل لنعتكف في المساجد طوال عُمرنا ونقول: التغيير في الخارج مسؤولية غيري... لا... أرجوكم فلنهم ديننا جيداً... لنعتكف في أيام محددة ولكن نهج بعدها إلى الدنيا لندعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة... ندعو إلى ترك المنكرات... ندعو إلى بذل النفس في سبيل الله... ندعو إلى إعلاء شأن الأُمّة لنعيد لها عزتها وكرامتها كما كانت في السابق. اسمعوا مقولة عمر بن الخطاب (رض): توشك القرى أن تهلك وهي عامرة، قالوا: كيف؟ قال: إذا علا فُجْرُها على أبرارها. وقال أيضاً: إذا خَفِيت الخطيئة لم تضر إلا فاعلها، فإذا ظهرت ولم يفعل الناس شيئاً لتغييرها ضرّت العامة. وانظر لحديث الرسول (ص): "والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثمّ تدعونه فلا يستجيب لكم". [الترمذي: 2169]. يا الله... كم هذا الكلام مخيفاً! فنحن نعيش في ظل هذا الواقع... أليس هذا حالنا مع الله اليوم؟ بلى... وإذا دعونا قلنا: لا يستجيب الله لنا... فنتوقّف عن الدعاء... للأسف أصبحنا قليلي الصبر وما لنا حيلة للعودة إلا بالرجوع إلى الله والصبر على البلاء والدعاء بيقين حتى يستجيب الله لنا ويخرجنا من هذه المآزق. أجل يا إخوتي... إنّ الإسلام يريد للأمة الوحدة لا التفرد، فلنستجب لنداء هذا الدين الذي يحمل السعادة لكل من يعتنقه وينفّذ أحكامه وقوانينه. أي التغييرين سبق؟ انظر إلى آية: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ رُكُومًا بِرُكُومٍ حَتَّى يُغَيِّرَ رُكُومًا بَرَأَنَّهُمْ) (الرعد/ 11)، في هذا الآية نلاحظ تغييرين: تغيير من قبل أنفسنا، وتغيير من قبل الله، فأَي التغييرين سبق؟ تغييرنا لأنفسنا طبعاً... فإصلاح الذات حتماً

سوف يتبعه إصلاح المجتمع، من هذا المنطلق قلنا: إنَّ تغييرك لنفسك وسلوكك سوف يساهم في إصلاح المجتمع ككل. رأيت أهميتك كفردٍ في المجتمع؟ أنت تساهم في خرابه، وأنت تساعد في إصلاحه. فبالعليك لا تتأخَّر... تعال ندع السلبية حتى يغيَّر ا[] واقعنا المرير الذي صنعناه بأيدينا وبالتالي لا نهلك، فبالشاهد على أعمالنا، لذا دعونا نستحي من نظرا[] إلينا ونحن نعصيه. تأمل معي هذه الإيجابية في حديث الرسول (ص): "مثلُ القائم على حدود ا[] والواقع فيها كمثل قومٍ استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها استقوا من الماء على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً" [البخاري: 2493، والترمذي: 2173]. والهدف من هذا المثال الذي ضربه لنا رسول ا[] (ص) أن خرق السفينة نتائجه سريعة وهو الغرق والهلاك، وهنا يبدو الهدف أوضح، ذلك بأن نتائج خرق المجتمع أسرع وأشد هلاكاً، وإن لُمت النتائج سنين عديدة، إلا أنَّهُ سيغرق بخرق القوانين والأحكام الربانية فانتبهوا لهذه النقطة... نقطة أنَّ الجيل الآتي سوف يغرق بأكمله إن خرقنا نحن نظام المجتمع بـزلاتنا وغفلتنا... فانتبهوا يا أحبتي في ا[] أن نؤدِّيَ بأنفسنا إلى الهلاك دون أن نشعر... نماذج إيجابيين خلَّدت سيرُهم في القرآن... مؤمن آل فرعون: قال فرعون: (ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنَِّّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) (غافر/ 26)، فجاء مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه فقال: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟) (غافر/ 28)، ويختم حديثه: (فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ أَوْ أَفَوْسُ أَمْ مَرِي إِلَی اللَّهِ؟) (غافر/ 44). أجل هذه هي الإيجابية، أن تفوَّضَ أمرُك إلى ا[] بعد أن تغيَّر ما بنفسك وتستسلم له كلياً... فتتحقق الإيجابية عندها (فَوَقَّاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا) (غافر/ 45). وانظر إلى هذه الآية: (وَلْيَذْخِشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) (النساء/ 9)، أما زلت تخشى على أولادك من بعدك و[] موجود؟ وانظر إلى مؤمن سورة يس: لقد أرسل ا[] إلى قريةٍ رجلين (نبيَّين) ليهديا أهلها فرفضوا واستكبروا فبعث لهم ا[] رجلاً ثالثاً: (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنِهِمُْ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّنَا إِلَیْكُمْ مُّرْسَلُونَ) (یس/ 14)، (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ یَسْعَى قَالَ یَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) (یس/ 20)، من هنا نعقِّب أنَّ الهداية للصراط المستقیم وإلى دين ا[]، ليست مسؤولية الأنبياء فقط، بل مسؤولیتنا جميعاً. فقال الرجل: (اتَّبِعُوا مَنْ لَا یَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ) * وَمَا لِي

لَا أَعْبُدُ إِلَّا ذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ
 آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا
 وَلَا يُنْزِلُونِ) (يس/ 21-23). أجل هذا هو اليقين بال... وهذه هي الإيجابية التي عز
 بالها الأُمّة والدّين، قبل محمد (ص) وبعده... نموذج آخر لكن ليس بإنسان: (فَمَكَثَ
 غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ
 بِنَبِيٍّ يَقِينِ) (النمل/ 22)، أسلّا على ما رآه من قوم يشركون بال: (إِنِّي وَجَدْتُ
 أَمْرًا أَعْلَمُ لِكُفْرِهِمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهُمَا عَرْشٌ عَظِيمٌ *
 وَجَدْتُ لَهُمَا وَقُومًا مَهْلِكِينَ لِيَسْجُدُوا لِلَّهِ مَنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ
 الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)
 (النمل/ 23-24). انظر لغيره هذا الطائر على دين ال، لم يَهْنُ عليه أن يُشرك بال فأقام
 على هؤلاء القوم الحجة، وعادوا إلى الصواب والرشد بفضل إخباره سيدنا سليمان (ألا
 يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ
 مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) (النمل/ 25). أجل... هكذا تكون الغيرة على دين ال
 فلنتعلم... من هذا الهدهد! نملة.. إيجابية ومتفاعلة مع مجتمعها! وانظر إلى شكر سيدنا
 سليمان الذي دعت إليه نملة، تأمل معي هذه الآيات: (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عِلَى وَادٍ
 الذِّمِّلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا الذِّمِّلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا
 يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّسَ مَضَاحِكًا
 مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي
 أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ
 وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل/ 18-19). أترى
 الإيجابية هنا؟ أجل نملة حرصت على أن تقود مجموعتها فخافت عليها ولم تدخل جحرها لتنقذ
 نفسها، فدعا سليمان لما سمعها: أن الحمد ال الذي منّ عليّ بهذا... تخيّل أننا نحيا
 الآن بهذه الإيجابية، ماذا سيكون حالنا عندها يا ترى؟ حتماً ستتغيّر أمور كثيرة في أمتنا
 الإسلامية، مؤمن واحد يمكنه أن ينصر الإسلام والمسلمين!! وإليك قصة الحباب بن المنذر: يرسم
 رسول ال (ص) خطة لمعركة بدر، فيقول: "هنا سنقف، هنا سنحارب، سنفعل كذا وكذا..." فقال
 الحباب بن المنذر: يا رسول ال، أهوَ منزلُ أنزلت ال إياه أم هو الحرب والرأي
 والمكيدة؟ ال! ... انظر الإيجابية في سؤاله؟ يسأل بلطف وهدوء مع الذكاء حتى لا يتناول
 بكلامه على الرسول (ص) دون أن يشعر. فيرد الرسول (ص): "بل هي الحرب والرأي والمكيدة"...
 فقال: يا رسول ال إنَّ هذا ليس بمنزل... فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم (أي
 أقرب الآبار من المشركين) فنزله، ثم نغوّر ما وراءه من القلُوب (أي نسدّ ونطمس ما

وراء هذه الآبار) ثمّ نبني عليه حوضاً فنملأه ماء، ثمّ نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون (لأن الحوض المملوء ماء صار وراء المسلمين ومن جهتهم)... فيأخذ النبي برأيه ويقول: "لقد أضرتَ بالرأي". طبعاً... طالما دعا بأدبٍ وحكمة دن تناول على من هو أعلى منه شأنًا... إنها الإيجابية بعينها. واسمع لقصة سيدنا زُعَيم بن مسعود: الذي أسلم خلال الأحزاب، فقال: يا رسول الله! إني قد أسلمت، فقال له الرسول (ص): "إنك يا زُعَيم رجلٌ فينا فخذْ لِنَفسِنا"، فهدب هذا الرجل وصنع مكيدةً بين اليهود والكفار، فما كانت النتيجة؟ انتصار المسلمين بإيجابية شخص واحد. أترون معي كيف يمكن للأُمَّة بأكملها أن تنتصر بشخصٍ واحد؟ مؤمن واحد يمكن أن ينصر الإسلام والمسلمين، فماذا ننتظر؟ بناء المسجد في الجامعة نهج حضاري: أذكر قصة قديمة جدّاً حصلت منذ زمنٍ بعيد: في وقت من الأوقات خجل الناس من تأدية عباداتهم لا سيّما الصلاة أمام بعضهم البعض. فدخل شاب الجامعة فسأل: هل أجد مكاناً أصلي فيه؟ فقالوا: أتصلي وأنت شاب؟ الصلاة للكبار في السن، لعجوز أشرف على انتهاء أجله! فأصرّ على أن يصلي، فأشاروا إليه بمكان صغير تحت أرض الجامعة يسمى بالعامية: (خُرْبَة). فنزل ووجد رجلاً عجوزاً يصلي فيها فسأله: لماذا تصلي هنا يا والدي؟ فردّ العجوز: لكي لا يراني أحد، فأخذته الحميّة وأمسك بيد العجوز وقال: سوف نصلي في أعلى الجامعة، ولما انتهى توجّه إلى ساحة الجامعة التي يدرس فيها فصلى ركعتين. فأشار إليه شبان وهزّؤوا منه في اليوم الأوّل، وفي اليوم التالي صلى معه العجوز، ... في اليوم الثالث أصبحوا صفاً كاملاً... بعدها صفوف.. فقالوا: لمَ لا نبني مسجداً يصلي فيه المصلون هنا؟ وبالفعل حصل هذا، وليس فقط... بل انتهجت سائر الجامعات المحيطة بهم نهج هذه الجامعة واعتبرته شكلاً حضارياً لبناء مسجدٍ تقام فيه شعائر الله. تخيل أجر هذا الشاب بإيجابيته التي دعت له لبناء مسجدٍ يُصلّى فيه إلى يوم الدين... تخيل أجره الذي يتضاعف كلما صلى أحد في هذا المسجد... وبعد هذا كله كيف ستكون إيجابيتنا في ديننا؟ سنظلّ كما نحن أم إلى تقدّم ملحوظٍ لخدمة هذا الدِّين العظيم؟ هذا ما نأمل تحقيقه لنسبق به عالم الغرب، وتعود لنا العزة والكرامة إن شاء الله تعالى. المصدر: كتاب حتى يغيروا ما بأنفسهم